مراجعات

الفكر الجامد والحدود المتحرّكة

عادل محمود رياض، **الفكر الاسرائيلي وحدود الدولة**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ٣٠٠ صفحة

قال الرئيس المصري، حسني مبارك، في المقدّمة التي وضعها للكتاب، ان هذا العمل يعتبر بمثابة أول كتاب عربي يقدّم مسحاً شاملاً للفكر الاسرائيلي المتعلّق بحدود دولة اسرائيل من وجهة نظر اسرائيلية، حيث عالج الكاتب هذا الموضوع، بشكل وافٍ، من الناحيتين الدينية والتاريخية، وكذلك من وجهة النظر الصهيونية واسرائيل منذ قيامها وحتى يومنا هذا، مؤكداً «ان فهم ومعرفة أهداف ونوايا اسرائيل باعتبارها الخطر الاعظم الذي يهدّد أمن وسلامة ووحدة اراضي الدول العربية، يمثّل أهمية كبرى في مجال تخطيط نشاطاتنا لمواجهة ودفع هذا الخطر المحدق بالوطن العربي».

وتضمّن الكتاب ثلاثة فصول فقط موزّعة على ثلاثمئة صفحة من القطع الكبير، واحتوى على ما يقرب من ثلاثين خريطة توضيحية.

أشار المؤلف الى ان تعريف الدولة في مفاهيم المصطلحات السياسية يشتمل في أحد أركانه الاساسية على رقعة محدّدة من الارض تشكّل اقليماً لتلك الدولة. ولكن حين «نتطرّق لدراسة موضوع الحدود الاسرائيلية، نجد أنفسنا في مواجهة حالة فريدة ليس لها مثيل في العالم؛ اذ ان اسرائيل قد خرجت عن نطاق التعاريف والمصطلحات السياسية المتعارف عليها كافة، وأعلنت عن قيامها كدولة، من دون ان تحدّد رقعة من الارض كأقليم لها». وعلى ذلك، «أصبح اقليم تلك الدولة عبارة عن كيان هلامي، وحدودها عبارة عن خطوط متحرّكة بناء على سياسة واستراتيجية تسيران وفق أهداف وأفكار اسرائيلية محدّدة وبعيدة المدى، تستند، في أساسها، الى المرحلية وعدم الافصاح جهراً عن تلك الاهداف».

وبالفعل، فقد عمدت الصهيونية واسرائيل الى عدم الاعراب، رسمياً، عن حدود الدولة اليهودية، وفي الوقت عينه أطلق الصهيونيون العديد من المصطلحات الخاصة بحدود اسرائيل أهمها: الحدود الدينية والحدود التاريخية والحدود المثالية واسرائيل الكبرى والحدود الطبيعية والحدود الشرعية والحدود المقدّسة والحدود الآمنة والحدود المعترف بها وحدود الهدنة والحدود التي يمكن الدفاع عنها والحدود الرادعة وخطوط وقف اطلاق النار. وتنفرد كل تسمية للحدود بمفهوم خاص بتعريفها، ويعود السبب في ذلك الى الاتجاهات المتعدّدة، التي تختلف باختلاف الهدف سواء أكان دينياً أم تاريخياً أم عسكرياً، وتختلف، كذلك، باختلاف الأسس التي يُعتمد عليها.

اشتمل الفصل الاول على عرض، وتحليل، للحدود الدينية بناء على النصوص الواردة، بهذا الخصوص، في التوراة والتلمود. كما تضمّن عرضاً لتاريخ اليهود وعلاقتهم المكانية بفلسطين، وتوضيح شكل وخصائص السيطرة الاسرائيلية في الفترات التي تولّوا خلالها الحكم، مع بيان مفهوم الحدود التاريخية من وجهة النظر الاسرائيلية. وتضمّن هذا الفصل، أيضاً، عرض، وتحليل، للآراء والمحاولات الصهيونية لرسم حدود الدولة، سواء كانت المحاولات هذه تشتمل على نشاط سياسي وإعلامي أم على نشاط استيطاني. وقد ضمّن الكاتب هذا الفصل نحو عشرين خريطة توضح حدود اسرائيل على امتداد المراحل التاريخية حيث كشفت الخريطة الاولى حدود أرض كنعان من خلال معاهدة رمسيس الثاني مع الحثيين في القرن الثالث عشر، وذلك استناداً الى دائرة المعارف اليهودية. وأوضح المؤلف ان الحدود التاريخية هي الحدود التي كانت تحت السيطرة المباشرة لاسرائيل في